عِلْمُ مُقَارَنةِ الأدْيانِ فى الإسلامِ

دراسة تأصيلية

د . خالد على عباس القط[1]

مستخلص البحث

على الرغم من اتهام مفكرى الغرب المتعصبين علماء الإسلام بالجمود والتخلف فى الإبداع العلمى، فإن علم مقارنة الأديان فى الإسلام يعد من العلوم الإسلامية الأصيلة، باعتباره أحد بناءات علم الكلام الإسلامى، والتى لعلماء الإسلام سبق الفضل والنبوغ فى نشأته وتأسيسه وابتكاره، حيث استمد أصوله وأسسه من حديث القرآن الكريم عن أهل الأديان ، ومحاورات الرسول المصطفى ﷺ مع غير المسلمين، ومناظرات الصحابة والتابعين وعلماء الإسلام مع أهل الأديان الأخرى، قائمةً على الجدل والمناظرة والمقارنة بين الأديان؛ لاستخلاص أوجه الشبه والاختلاف فيما بينها، ومعرفة الصحيح منها والفاسد؛ إظهاراً لحقيقة الإسلام بأدلةٍ يقينيةٍ، ودعوة أهل الأديان إلى الإسلام دون إكراهٍ أو إساءةٍ، وبيان ما عندهم من معتقداتٍ باطلة، وتحريفٍ واقعٍ فى كتبهم، والرد على شبهاتهم وطعنهم فى الإسلام ؛ تثبيتاً لأهل الإسلام على إيمانهم ، وإظهاراً لعلو دينهم .

الكلمات المفتاحية :

علم، مقارنة الأديان، دراسة تأصيلية، علماء الإسلام، أهل الأديان، محاورات، مناظرات.

---

١ - أستاذ الأديان والفرق الإسلامية والمذاهب المعاصرة المشارك - جامعة طيبة – المدينة المنورة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ (الحج/ ١٧).

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً. وبعد.

لقد صور أغلب مفكرى الغرب ورجال الإعلام المتعصبين العالمَ العربى الإسلامى تصورات مختلفة، وكانت لهم مساعٍ عديدة أهمها: العمل على طمس كل ما هو من شأنه أن يوحى بما كان للعرب المسلمين من آيات الحضارة، ومعالم الثقافة، وإبداع العلوم، فهم عنصر من عناصر الجمود والتخلف لا نصيب لهم فى مجال العلم والفكر والإبداع الأصيل؛ ذلك لأن عقولهم أشبه بعقول الأطفال، والفضل لإبداع العقل الغربى الآرى. [١]

ولقد أعمى الحقد عيون هؤلاء المتعصبين فلم يشاهدوا إبداع علماء الإسلام من العلوم الإنسانية خاصة الإسلامية التى قامت على مصدرى الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة، وتم بدء كتابتها مع بعثة الإسلام، ثم تدوينها رسمياً بأمر من الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز – رحمه الله –.

ومن العلوم الإسلامية الأصيلة والتى لعلماء الإسلام سبق الفضل والنبوغ فى تأسيسها وابتكارها : «علم مقارنة الأديان الإسلامى» المستمد أصوله وأسسه من

---

١ – علم الأديان وبنية الفكر الإسلامى، هاملتون جب، وأ. د/ عادل العوا ، ص ٧١، ردود على شبهات المستشرقين، أ. د/ يحيى مراد ، ص ٧٧٣.

حديث القرآن الكريم عن أهل الأديان، ومحاورات الرسول المصطفى ﷺ مع غير المسلمين، ومناظرات الصحابة والتابعين وعلماء الإسلام مع أهل الأديان الأخرى، والذى يحمل بين جنباته أهدافاً ومقاصدَ جمةً، حيث: يقدم للمسلمين معرفةً قيمةً عن الإسلام وقوة دليله ونصاعة برهانه، ومتانة حجته، ويسر كتابه، ومكانته العظمى بين الكتب الأخرى ، ويعدّ سلاحاً منيعاً للمسلمين للرد على شبهات غير المسلمين وطعنهم فى الإسلام ، ويكشف باطل الديانات الأخرى، وتناقض كتبها وتحريفها، وتزييف أصولها وتغيير فروعها ، ويدعو الناس إلى تبصّر الدين الحق الخالص دين الإسلام، والبرهنة عليه، والاقتناع به، والإيمان بعقائده وتنفيذ شرائعه والتمسك بآدابه، ويعدّ الخطوة الأولى لدعوة غير المسلمين إلى الإسلام ، ويبين سبق الإسلام وتأصيله ونبوغ علمائه لمناهج البحث العلمى: كالاسترداد التاريخى، والموضوعى الوصفى، والمقارن، والجدل والمناظرة والحوار، والتحليلى الاستنباطى، والاستقرائى، والنقدى، والحسى والعقلى، ومن هذا المنطلق كانت تلك الدراسة وعنوانها: (**علم مقارنة الأديان فى الإسلام: دراسة تأصيلية**)، والتى تقوم على عدد من مناهج البحث العلمى، ومنها:

١ - منهج الاسترداد التاريخى: والذى يقوم على استرداد الماضى، حيث الحديث عن أحوال الأمم السابقة وقصصهم مع أنبيائهم وعقائدها الدينية، وما حدث لها من تحريف، وذلك من خلال عرض القرآن الكريم لها.

٢- المنهج الموضوعى الوصفى: والذى يقوم على وصف وبيان عقائد أهل الكتاب وصفاً ظاهرياً كما هى، كما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

٣- منهج الجدل والمناظرة بالتى هى أحسن: والذى يقوم على التناظر والتحاور فى الجماعات العلمية على اختلافها من أجل الوصول إلى الحق.[1]

---

١ - مناهج البحث العلمى، أ. د/ عبد الرحمن بدوى ، ص ١٩، تبسيط كتابة البحث العلمى، أ. د/ أمين الساعاتى ، ص٤٨.

٤- المنهج التحليلي الاستنباطي: والذي يقوم على تحليل عقائد أهل الأديان وتوضيحها، واستنباط المقصد العقدي منها المتمثل في مخالفتها للعقائد الحقيقية التي أنزلها الله تعالى على رسل الأمم السابقة.[١]

٥- المنهج المقارن: والذي يقارن ويوازن بين عقائد أهل الأديان؛ لاستخلاص أوجه التشابه والاختلاف والصحيح والمحرف فيما بينها.[٢]

٦- المنهج التأصيلي: والذي يقوم على إرجاع المعتقدات والأقوال والأفعال إلى أصولها الأولى الأساسية.[٣].

خطة البحث:

تتكون تلك الدراسة من: مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة ومراجع ومصادر البحث، كالآتي:

المقدمة: أشارت - بإيجاز - إلى تصور مفكري الغرب المتعصبين لإبداعات علماء الإسلام واتهامهم بالجمود والتخلف عن ركب الحضارة الإنسانية، والمنهج المتبع في تلك الدراسة، وبيان أهداف ومقاصد علم مقارنة الأديان في الإسلام، وبيان خطة البحث ومنهجه.

أما التمهيد: فعنوانه: التعريف بمصطلحات البحث. وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى - مفهوم المقارنة لغة واصطلاحا.

المسألة الثانية - مفهوم الدين لغة واصطلاحا.

المسألة الثالثة - مفهوم علم مقارنة الأديان اصطلاحا.

المسألة الرابعة - مفهوم «التأصيل» لغة واصطلاحا.

١- مناهج البحث عند مفكري الإسلام، أد/ علي سامي النشار، ص ٣٤٩

٢- مقدمة في منهج البحث العلمي، أد/ رحيم يونس، ص ٢٤

٣- معجم اللغة العربية المعاصرة، أد/ أحمد مختار عمر، ج١، ص ١٠١ (الفقرة ١٩٢)

والمبحث الأول: عنوانه: أسس بناءات علم مقارنة الأديان فى الإسلام. وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى – حديث القرآن الكريم عن أهل الديانات السابقة.

المسألة الثانية – حوارات الرسول الكريم مع أهل الأديان.

المسألة الثالثة – مناظرات علماء الإسلام مع أهل الأديان الأخرى.

أما المبحث الثانى – فعنوانه: نشأة وتطور علم مقارنة الأديان فى الإسلام. وفيه مسألتان:

المسألة الأولى – نشأة علم مقارنة الأديان فى الإسلام.

المسألة الثانية – تطور علم مقارنة الأديان فى الإسلام.

أما الخاتمة: ففيها أهم النتائج التى تم التوصل إليها، وعدد من التوصيات المرجوة.

ثم: مراجع ومصادر البحث.

وآخر دعوانا: أن الحمد لله رب العالمين.

وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث

المسألة الأولى - مفهوم المقارنة لغة واصطلاحا:

١- مفهوم كلمة مقارنة لغةً:

جاء في اللغة: قارن الشيء بالشيء مقارنة وقرانا : اقترن به ، وصاحبه ولازمه. وقارن الشيء بالشيء: وازنه به وقابل بينهما.

واقترن الرجلان: ارتبطا وتلازما. وقارن بين القوم: سوى بينهم. وقارن بين الزوجين قراناً: جمع بينهما.

وقارن بين الشيئين أو الأشياء: وازن بينهما فهو مقارن.

ويقال: الأدب المُقارَن أو التشريع المقارَن، ويقال أيضا مُقارَنة الأديان.[١]

٢- مفهوم كلمة مقارنة اصطلاحا:

المقارنة: هي الموازنة والمقابلة بين شيئين أو عدة أشياء لاستخلاص أوجه الشبه والاختلاف فيما بينها .[٢] .

المسألة الثانية - مفهوم الدين لغة واصطلاحا.

١- مفهوم الدين لغة:

الدين في اللغة: مشتق من الفعل الثلاثي: (دان)، وهو تارة يتعدى بنفسه، وتارة باللام، وتارة بالباء، ويختلف المعنى باختلاف ما يتعدى به.

- فإذا تعدى بنفسه يكون : (دانه) بمعنى ملكه ، وساسه، وقهره وحاسبه.

١- ينظر: مختار الصحاح، الرازى، ج١ ص٢٥٢، معجم اللغة العربية المعاصرة، أد/ أحمد مختار عمر، ج٣ ص ١٨٠٤ .

٢- معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٣ ص ١٨٠٤

- وإذا تعدى باللام يكون: (دان له) بمعنى خضع له، وأطاعه .

- وإذا تعدى بالباء يكون : (دان به) بمعنى اتخذه ديناً ومذهباً واعتاده وتخلق به واعتقده. كما فى قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ (يوسف/ ٧٦) ، وقول الله سبحانه تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾ (الكافرون/ ٦) ، وقول الله سبحانه تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الأنفال/ ٣٩)، وقوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ۝١٣ ﴾ (الشورى/ ١٣)، وهو اسم لكل ما يعتقد أو لكل ما يتعبَّد به .[١]

وهذه المعانى اللغوية للدين موجودة فى (الدين) فى المعنى الاصطلاحى ؛ لأن الدين يقهر أتباعه ويسوسهم وفق تعاليمه وشرائعه، كما يتضمن خضوع العابد للمعبود وذلته له، والعابد يفعل ذلك بدوافع نفسية، ويلتزم به بدون إكراه أو إجبار .[٢]

٢-مفهوم الدين اصطلاحا:

اختلف فى تعريف الدين اصطلاحاً اختلافاً واسعاً حيث عرفه كل إنسان حسب مشربه، وما يرى أنه من أهم مميزات الدين .

فمنهم من عرفه بأنه: الشرع الإلهى المتلقَّى عن طريق الوحى. وهذا تعريف أكثر

١- ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (د ى ن)، ج٢، ص ١٤٦٩، القاموس المحيط، الفيروز آبادى، ج٤ ص ٢٢٥، الدين، أ. د/ محمد عبد الله دراز، ص٣٠ ،٣١، الأديان الوضعية فى مصادرها المقدسة، أ. د/ إبراهيم محمد، ص ١٣

٢- ينظر: دراسات فى الأديان: اليهودية والنصرانية، أد/ سعود الخلف، ص ١١

المسلمين. ويلاحظ على هذا التعريف قَصرُهُ الدين على الدين السماوى فقط ، مع أن الصحيح أن كل ما يتخذه الناس ويتعبدون له يصح أن يسمى ديناً، سواء كان صحيحاً، أو باطلاً، بدليل قوله ﷻ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (آل عمران/ ٨٥)، وقوله ﷻ: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ (الكافرون/ ٦)، فسمَّى الله ما عليه مشركو العرب من الوثنية ديناً .

وأرجح التعريفات أن يقال: الدين هو اعتقاد قداسة ذات، ومجموعة السلوك الذى يدل على الخضوع لتلك الذات ذلًّا وحبًّا، رغبة ورهبة . فهذا التعريف فيه شمول للمعبود، سواء كان معبوداً حقًّا- وهو الله عز وجل- أو معبوداً باطلا، وهو ما سوى الله عز وجل . كما يشمل أيضا العبادات التى يتعبد الناس بها لمعبوداتهم ، سواء كانت سماوية صحيحة كالإسلام، أو لها أصل سماوى ووقع فيها التحريف والنسخ كاليهودية، والنصرانية، أو كانت وضعية غير سماوية الأصل كالهندوكية، والبوذية، وعموم الوثنيات .[١]

ويرى التهانوى أن الدين: وضع إلهى سائق لذوى العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح فى الحال والفلاح فى المآل، وهذا يشمل العقائد والأعمال، ويطلق على ملة كل نبى، وقد يخص بالإسلام كما فى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (آل عمران / ١٩)، ويضاف إلى الله لصدوره عنه، وإلى النبى لظهوره منه وإلى الأمة لتدينهم به وانقيادهم له .[٢]

وبمعنى ثالث: الدين هو: الاعتقاد بوجود ذات غيبية علوية لها شعور واختيار، ولها تدبير للشئون التى تعنى الإنسان، اعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات

---

١ – ينظر: دراسات فى الأديان: اليهودية والنصرانية، أد/ سعود الخلف، ص ١١ .

٢ – كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوى، ج٢ ص ٥٠٣ ، المدخل فى تاريخ الأديان، أد/ سعيد مراد، ص ١٥ .

السامية فى رغبة ورهبة، وفى خضوع وتمجيد، وبعبارة موجزة هو الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة.[١]

وخلاصة القول: الدين: هو استسلام الإنسان وخضوعه وطاعته لله تعالى ولمنهجه الشرعى الذى أنزله الله تعالى إلى الإنسانية عن طريق رسل الله وأنبيائه مشتملا على عقائد وعبادات ومعارف وأخلاق وأوامر ونواه شرعية إلهية مهمته إصلاح الفرد وسياسة المجتمع لحصولها على السعادة فى الدنيا والآخرة وفق منهاج معين حدده هذا الدين.

المسألة الثالثة - مفهوم علم مقارنة الأديان اصطلاحا.

من خلال مفهوم الدين والمقارنة السابقين يمكن استنباط مفهوم علم مقارنة الأديان اصطلاحا على أنه: هو ذلك العلم الذى سيقارِن، وسيوازن بين العقائد والديانات والنظر فيها ومقارنتها بالدين الإسلامى؛ للتعرف - من خلال النظر والمقارنة - على صدق الإسلام وحقيته وسلطان حجته، وعلى باطل الديانات الأخرى، وتناقض كتبها ووهاء عقائدها، وضعف محتواها وفساد مبناها، وتحريف كتبها، وتزييف أصولها وتغيير فروعها، ودعوة الناس إلى تبصر الدين الحق الخالص، والبرهنة عليه، والاقتناع به، والإيمان بعقائده - بدون إكراه أو إجبار - وتنفيذ شرائعه والتمسك بآدابه.[٢]

المسألة الرابعة - مفهوم «التأصيل» لغة واصطلاحا.

١-مفهوم التأصيل لغة:

التأصيل مشتق من (أصل وأصّل تأصيلاً).

والأصل: هو أَسفل كل شيء وأساسه، وجمعه أُصول.

---

١ - الدين، أد/ محمد دراز، ص ٥٢، مدخل لدراسة الأديان، أد/ عبد الله سمك، ص ٣٦

٢- ينظر: النصيحة الإيمانية فى فضيحة الملة النصرانية، لنصر بن يحيى المتطبب، ص ٧، ٨ بتصرف.

ويقال: اسْتَأْصَلَتْ هذه الشجرةُ: أى ثبت أَصلها وأساسها.

ورجل أَصيل: ثابت الرأْى عاقل، وأَصَّلَ الشىء: أى جعل له أصلا ثابتا يبنى عليه غيره. [١]

٢- مفهوم التأصيل اصطلاحاً:

التأصيل اصطلاحا: هو إرجاع المعتقدات والأقوال والأفعال إلى أصولها الأولى الأساسية والتى سيبنى عليها معتقدات وأقوال وأفعال أخرى تأثرت بالأصول الأولى الأساسية.

فعلم تأصيل الكلمات: يقصد به البحث فى تاريخ الصيغ اللغوية من أول نشأتها.

أما التأصيل فى علم مقارنة الأديان فى الإسلام: يقصد به إرجاع أصول وبناءات هذا العلم منذ نشأته لمصدرى الإسلام القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.[٢].

المبحث الأول – أسس بناءات علم مقارنة الأديان فى الإسلام

يعد (علم مقارنة الأديان) من العلوم الإسلامية الأصيلة، وهو أحد بناءات علم الكلام الإسلامى، وبدأ ظهوره بظهور الإسلام وتعاليمه، وحديث القرآن الكريم والسنة النبوية عن عقائد أهل الديانات السابقة على الإسلام، وحديثه عن عقائد أهل الكتاب - خاصة - وموقفهم المعادى للإسلام، واحتكاك المسلمين مع أصحاب الديانات فى المشرق والمغرب الأندلسى ومناظراتهم ومؤلفاتهم معهم مما يدل على سبق علماء الإسلام فى نشأة علم مقارنة الأديان والجدل والمناظرة القائم على

---

١ - ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ١، ص ٩٩ (الفقرة ١٩٢) وما بعدها

٢- معجم اللغة العربية، ج١، ص ١٠١ (الفقرة ١٩٢-بتصرف يتلاءم مع مفهوم التأصيل فى علم مقارنة الأديان)